Journal Of the Iraqia University (77-2) 31 October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دور القوى الدينية في العراق ١٩٠٨ – ١٩٣٢

المدرس المساعد عدي عامر حسن

الخلاصة

لم تكن القوى الدينية في العراق خلال الفترة ١٩٠٨ – ١٩٣٢ مجرد مؤسسة روحية ، بل كانت قوى وطنية فاعلة شاركت وبشكل كبير في قيادة المجتمع العراقي خلال اهم واخطر مراحل الانتقال السياسي ، فقد تصدت تلك القوى للقرارات المجحفة التي اتخذتها حكومة الاتحاد والترقي ضد المؤسسة الدينية في العراق ، مرورا بالحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني للعراق الذي اتسع فيها دور المؤسسة الدينية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية والموصل حيث برزت كقوة فاعلة ومؤثرة على الساحة السياسية والاجتماعية العراقية ، واسهمت تلك القوى بدور رئيسي وبارز في ثورة العشرين حيث اخذت على عاتقها تعبئة الناس والعشائر ضد الوجود البريطاني ، إضافة إلى ذلك شاركت بعض رجالات المؤسسة الدينية في الثورة ، و بنهاية ثورة العشرين بدأت صفحة جديدة من النضال السلمي ضد المحتل والتي قادته القوى الدينية ونتج عن هذا النضال اجبار بريطانيا على تشكيل حكومة عراقية اتخذت القوى الدينية شكلا جديدا في المقاومة السلمية من خلال مراقبة مسار تأسيس الحكومة الجديدة والمعاهدة العراقية البريطانية عام ١٩٢٢ وأبدت العديد من الاعتراضات والملاحظات حول تلك الأمور التي من شأنها تقيد العراق وعدم منحه الاستقلال التام ، إضافة الى دور القوى الدينية في مقاومة المحتل فقد شكلت القوى الدينية حلقة وصل بين السلطات المحلية العراقية وبين العشائر ، ومن خلال هذه الأدوار التي لعبتها القوى الدينية في العراق فقد استطاعت أن تكون جزء مهم ولا يتجزأ من البنية الوطنية العراقية والاستمرار في التأثير السياسي والاجتماعي حتى دخول العراق إلى عصبة الأمم ١٩٣٢ . الكلمات المفتاحية(القوى الدينية – المرجعة الدينية – ثورة العشرين)

ABSTARCT

During the period from 1908 to 1932, religious forces in Iraq were not merely spiritual institutions, but active national forces that played a major role in leading Iraqi society during the most important and dangerous stages of political transition. These forces opposed the unjust decisions taken by the Union and Progress government against the religious establishment in Iraq, through World War I and the British occupation of Iraq, during which the role of the religious establishment in Najaf, Karbala, Kazimiyah, and Mosul expanded, emerging as an active and influential force on the Iraqi political and social scene. These forces played a major and prominent role in the 1920 revolution, taking it upon themselves to mobilize the people and tribes against the British presence. In addition, some of the religious establishment's leaders participated in the revolution. At the end of the 1920 revolution, a new chapter began in the peaceful struggle against the occupiers, led by religious forces. This struggle resulted in Britain being forced to form an Iraqi government. Religious forces took on a new form of peaceful resistance by monitoring the process of establishing the new government and the 1922 Anglo-Iraqi Treaty, raising numerous objections and observations about matters that would restrict Iraq and prevent it from gaining full independence. In addition to their role in resisting the occupiers, religious forces formed a link between the local Iraqi authorities and the tribes. Through these roles played by religious forces in Iraq, they were able to become an important and integral part of the Iraqi national structure and continue to exert political and social influence until Iraq joined the League of Nations in 1932.

)Keywords ((Religious Forces – Religious Authority – The 1920 Revolution)

المقدمة

تعتبر القوى الدينية في العراق من اهم أعمدة المشهد السياسي والاجتماعي عبر مختلف العصور، حيث لم تكن هذه القوى ظاهرة هامشية في أي مرحلة تاريخية مر بها العراق ، فقد شكل العراق ابرز الساحات التاريخية التي تجلت فيه التداخل العميق بين الدين والدولة ، والسبب في ذلك مكانة العراق الحضارية والدينية الكبيرة ، فقد كان العراق مركزا لنشوء الحضارات القديمة حضارات وادي الرافدين (سومر واكد وبابل واشور) وهي احد اقدم النماذج المعروفة في التاريخ البشرية ، شهدت حضارة العراق تطور واضح للأفكار الدينية حتى أصبح الدين مؤسسة عليا تؤطر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فقد كان ملوك العراق القديم وظائف مزدوجة ،فهم لم يكونوا حكام فقط بل تعدوا هذا الدور ليكونوا

ممثلين للإلهة او وكلاء عنها بالأرض ، ومن خلال هذا المنطق نشأت سلطة الحكم في اطار ديني ، حيث اصبح الدين هو المحرك الأساسي في تشكيل رمزية الدولة [١]تطورت القوى الدينية بعد الإسلام فأصبح العراق مركزا حيويا في التاريخ الإسلامي فقد تحول الى مركز ديني وعلمي وسياسي مؤثر، حيث احتضن العراق اهم المدارس الإسلامية الفكرية ، فقد احتضنت البصرة العديد من المذاهب ذات التنوع الفقهي والاتجاهات وكان من ابرزها المذاهب الشيعية والاباضية [٢] والمعتزلة والاشاعرة والقدرية والزهدية والصوفية [٣] ،وبرز العديد من الفقهاء مثل الحسن البصري ،كذلك الحال في الكوفة فقد شهدت ظهور العديد من المدارس الفقهية ، وعند انتقال الخلافة الى بغداد في الحكم العباسي انتشرت فيها المدارس الدينية والمدارس العلمية والحركة الترجمة كان من ابرزها بيت الحكمة والمدرسة المستنصرية [٤]لعبت القوى الدينية في العراق وخلال الخلافة الراشدة والاموية والعباسية دورا محوريا في التأثير على القرار السياسي ، بل كانت هذه القوى في بعض الأحيان هي الفاعلة الرئيسية في تأطير مفاهيم السلطة والشرعية والمعارضة ، تمثلت هذه القوى بعلماء الدين وائمة المذاهب الإسلامية ، شكلت البصرة والكوفة في العراق اهم المراكز الدينية النشطة ، والتي ضمت كبار الصحابة والتابعين والذين قاموا بتأسيس ما يعرف بالحلقات العلمية والتي كان مقرها المساجد لتفسير القران الكريم والحديث النبوي إضافة الى اللغة والفقه ، وكانت هذه الحلقات هي النواة الأولى لظهور التيارات الدينية والتي سوف تتطور وتكبر وتلعب دورا كبيرا في السياسة [٥]بعد سقوط بغداد ٦٥٦هـ – ١٢٥٨ م إعادة تشكيل المشهد الديني في العراق حيث برزت القوى الدينية كمركز للنفوذ والقيادة الاجتماعية بعد غياب الدولة المركزية ، حيث برزت النجف كمركز علمي وديني وأصبحت الحوزة العلمية في النجف هي المرجع الأعلى للشيعة في العراق والشيعية الامامية عموما ، اما القوى السنية فقد استمرت على تراثها وتأسيس مراكز علمية جديدة في ديالى والموصل وفي شمال العراق [٦]سيطرة العثمانيين على العراق ١٥٣٤م بعد انتصارهم على الصوفيين في معركة جالديران ١٥١٤ واحتلال مدينة تبريز عاصمة الصفويين آنذاك وكان من الطبيعي أن يتأثر العراق بهذه التغيرات بالمنطقة لاسيما وان موقع العراق الجغرافي شكل ساحة استراتيجية للصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، وقد استغلت كلتا الدولتين الاختلاف الطائفي بين سكان العراق للسيطرة على البلاد [٧]مع بداية القرن العشرين ضعفت الدولة العثمانية بشكل كبير وبدأت تضعف سيطرتها على الدولة التابعة لها ومن بين تلك الدول العراق ، وبسبب هذا الضعف بدأت القوى الدينية في العراق تكتسب مكانة متزايدة في الحياة العامة ، ليس فقط بوصفها مرجعاً روحياً بل كفاعل اجتماعي وسياسي مؤثر لاسيما بعد أن سقطت الدولة العثمانية بشكل رسمي وإلغاء الخلافة العثمانية ١٩١٨ ، وبعد سيطرة الاحتلال البريطاني على العراق وتوقيع ما يعرف ب هدنة مودروس ١٩١٨ [٨] بين الدولة العثمانية المنهزمة في الحرب العالمية الأولى وبريطانيا والتي سمحت للحلفاء السيطرة على الأراضي التابعة للدولة العثمانية واصبح العراق ضمن هذه الأراضي وخضع للسيطرة البريطانية وفق هذه الهدنة [٩]أن أهمية البحث تكمن في محاولة تسليط الضوء على الدور الحيوي الذي لعبته القوى الدينية في تشكيل ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في مرحلة مفصليه من تاريخ العراق الحديث، وهي فترة اتسمت بالاضطرابات السياسية وتفاعل معقد بين السلطة المركزية من جهة والمرجعيات الدينية والقوى الاجتماعية في جهة أخرى .

المبحث الأول القوى الدينية في العراق نهاية الحكم العثماني ١٩٠٨ – ١٩١٨

لعبت القوى الدينية في العراق في الفترة ١٩٠٨ – ١٩١٨ دورا محوريا في الاحداث السياسية التي مر بها العراق ، حيث شهدت تلك الفترة تحولات سياسية واجتماعية ، فقد احتدم الصراع بين الدولة العثمانية وحركات الإصلاح داخل الدولة العثمانية لاسيما بعد أن شهدت الدولة ضعف واضح وبدأت تتوالى عليها الهزائم امام القوى الاوربية حيث استطاعت جمعية الاتحاد والترقي من عمل انقلاب والسيطرة على البرلمان في ١٩٠٨ وإعادة العمل في دستور ١٨٧٦ وقامت بخلع السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٩ ، واصبح قادة جمعية الاتحاد والترقي هي التي تحكم الدولة بشكل فعلي ، بعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي انعكست اعمالها على الولايات التباعة للدولة العثمانية وكان من بين هذه الولايات العراق [١٠] احكم رجال جمعية الاتحاد والترقي السيطرة على الدولة العثمانية وادخلوا العديد من الإصلاحات العسكرية والإدارية على الولايات التابعة للدولة العثمانية وكان العراق ضمن هذه الولايات حيث اهتم رجال جمعية الاتحاد والترقي بالعراق بشكل خاص بسبب موقعه الجغرافي إضافة الي طبيعة الشعب العراق وتنوعه ، حيث الغت العديد من الصلاحيات التي كانت ممنوحة للوالي الموجود في بغداد ونقلت صلاحياته للموظفين الاتحاديين الموالين لها ، وتفعيل شبكة رقابة صارمه على موظفي الدولة والسكان وزادت الاعتماد على البيروقراطية التركية في إدارة الدولة ، مما سبب في تهميش دور النخب العراقية المحلية ، إضافة إلى اتباعهم سياسة عرفت بسياسة التتريك [١١] وركزت على اضعاف المدارس الدينية التقليدية التي كانت منتشرة في كربلاء والنجف وبغداد وفرضت تدريس اللغة التركية في المدراس والمراسلات ، وفي خطوة مهمة لا اضعاف المدارس الدينية قامت سلطات جمعية الاتحاد والترقي بتقليص تمويل هذه المدارس خاصة الموجودة في كربلاء والنجف ، إضافة إلى فرض التجنيد الاجباري والزمت الشباب العراقي بالخدمة في الجيش العثماني وفي الجيش كان هناك تميز واضح بين العرب والأتراك حيث سيق الشباب العراقي والعربي إلى الجبهات الصعبة والأجواء القاسية ، ولدعم المجهود الحربي للدولة العثمانية ، كما قام رجال جمعية الاتحاد والترقي بمصادرة

المحاصيل الزراعية والخيول والمواد الغذائية وتحويلها إلى الجيش مما أدى إلى حدوث العديد من الازمات الغذائية والمجاعات الكبيرة في بغداد والنجف (١٢)قامت حكومة الاتحاد والترقي العثمانية باعتقال عدد كبير من رجال الدين الشيعة وعشائر الجنوب ونفيهم إلى الأناضول بحجة الاعتراض على القرارات المجحفة التي اتخذتها حكومة الاتحاد ضد العرقيين ، حيث رفضت المرجعيات الدينية في النجف وكربلاء فتوى الجهاد ضد دول الحلفاء معتبره أن هذه الفتوى سياسية وليست دينية ، لذلك وجهت حكومة الاتحاد والترقي التهمه للمرجعيات الدينية بانها متعاونة مع قوات التحالف ضد الدولة العثمانية والتي تدعي الخلافة على المسلمين (١٣)اما علماء الطائفة السنية في بغداد ومناطق شمال العراق فقد اتسم موقفهم بالولاء للدولة العثمانية باعتبارها (الخلافة الإسلامية) ، وان الدولة العثمانية كانت على المذهب الحنفي وهو نفس المذهب الذي عليه الطائفة السنية في العراق ، لذلك ايدوا فتوى الجهاد ورفضوا الاحتلال البريطاني وكان من ابرز الذين رفضوا الاحتلال البريطاني الشيخ امين الجميل البغدادي ، والشيخ عبد الكريم زيدان (١٤)كان للأقليات الدينية الموجودة في العراق دورا ، حيث ضم العراق أقليات متعددة مثل المسيحيين (الكلدان والسريان والاشوريين والارمن) ، واليهود والصابئة المندائيين ، وكان لهذه الأقليات الدينية موقفا في الحرب العالمية الأولى فقد دخل المسيح الاشوريين في تحالف مع القوات البريطانية والروسية خاصة في مناطق تواجد المسيحيين بكثر في الموصل ، وكان رد فعل القوات العثمانية على هذا التحالف باستهداف المسيحيين الاشوريين بالتهجير والمذابح ، اتخذ اليهود موقفا محايدا ، لاسيما وان اليهود في العراق لم يكن لديهم أي تنظيمات سياسية او ميلشيات لذلك فقد تجنب اليهود الانخراط في الصراع بين الدولة العثمانية والبريطانيين ، واكتفت بمراقبة الوضع العام لكن هذا الحياد لم يستمر طويلا فبعد نزول القوات البريطانية في منطقة الشعبية بالبصرة استبشر اليهود خيرا بالقوات البريطانية حيث أبدت الشخصيات اليهودية البارزة تعاطفا واضحا مع القوات البريطانية لأسباب دينية وسياسية وتجارية ، والجدير بالذكر أن القوات البريطانية عينت العديد من الشخصيات اليهودية بمناصب مدنية كالقاضي روبين دانيال والوجيه ساؤول دافيد مما زاد من مكانة اليهود بالعراق (١٥)إضافة إلى المسيحيين واليهود ضم العراق طائفة الصابئة المندائيين الذي تركز وجودهم في جنوب العراق على ضفاف الأنهار وكانوا طائفة مسالمة ولم يزجوا أنفسهم بالسياسة او بالحروب وظل دورهم مرتكز في الحفاظ على الحياة الدينية التقليدية مبتعدين عن أي صراع. كما ضم العراق اقلية من الأرمن الذين هربوا من الإبادة الجماعية التي ارتكبتها الدولة العثمانية ضدهم واستقروا في بغداد والموصل والبصرة ولم يكن لهم أي دور خلال الحرب العالمية الأولى حيث انشغلوا بالعمل والتجارة وساهموا في دعم الاقتصاد المحلي (١٦) .

المبحث الثاني دور القوى الدينية العراقية في مواجهة الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٣٢

تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على البصرة عام ١٩١٤ ، حيث كانت البصرة تمثل هدفا ستراتيجيا لبريطانيا حيث تطل البصرة على الخليج العربي وهي مركزا تجاريا مهما ، إضافة إلى هذا كانت بريطانيا تحاول حماية مصالحها النفطية في ايران وتأمين النقل إلى الهند عبر الخليج العربي ، لم تقاوم القوات العثمانية الموجودة في البصرة بشكل كبير بل اكتفت ببعض الاشتباكات المحدودة مع القوات البريطانية وانسحت إلى الشمال ، وبذلك أصبحت البصرة قاعدة عسكرية متقدمة للعمليات في العراق ومنها بدأ الانطلاق نحو بغداد ، امام هذا الموقف الضعيف من القوات العثمانية المرابطة بالبصرة اخذت العشائر العراقية بالاستعداد لمواجهة القوات الغازية ، حيث برز تحالفا شعبيا بين القوى الدينية الموجودة في كربلاء والنجف وبغداد والعشائر العراقية الاصيلة الموجودة في الوسط والجنوب ومن ابرز تلك العشائر (بني لام وشمر وال ازيرج) ، وقد أصدرت المرجعيات الدينية الفتوى لعامة الشعب بوجوب مقاتلة المحتلين ، وبدأت العشائر في الناصرية والعمارة التحضير لمواجهة القوات البريطانية المتقدمة نحو بغداد ، حيث كانت هذه العشائر تمتلك الخبرة في القتال إضافة إلى وجود المقاتلين الاشداء من أبناء تلك العشائر التي اتخذت أسلوب الكر والفر في القتال مع القوات البريطانية وتمكن رجال العشائر من احداث تكبيد القوات البريطانية العديد من الخسائر البشرية والمادية لاسيما وان بعض خيالة العشائر قطعوا سكك الحديد وهاجموا القطارات التي توفر الدعم اللوجستي للقوات البريطانية (١٧) . امام هذه المقاومة التي واجهتها القوات البريطانية حاول الساسة البريطانيين من اصدار البيانات التي من شانها تهدئة الوضع العام في المناطق الجنوبية حيث اصدر القوات البريطانية المحتلة بيانا في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ وبالتنسيق مع الشريف حسين (١٨) ، ادعت فيه القوات البريطانية انها جاءت لتخليص العرب من الاحتلال العثماني وان القوات البريطانية هي قوات صديقة وتعهدت بعدم التعرض لأرواح وممتلكات السكان (١٩)بالرغم من الزخم المعنوي الكبير الذي حصل عليه ثوار العشائر العراقية ، والدعم الذي حصل من قبل المرجعيات ورجال الدين عن طريق اصدار الفتاوى التي تحث على القتال والجهاد ضد القوات او عن طريق اشتراك العديد من رجال الدين بالقتال بشكل مباشر مع الثوار مثل السيد محمد سعيد الحبوبي (٢٠) ، الا أن المقاومة العراقية واجهت حقائق ميدانية كانت قاسية جدا ، حيث كانت القوات البريطانية مجهزة بالأسلحة الحديثة وتتلقى دعم لوجستي كبير من قواعدها الموجودة في الهند إضافة إلى أن عدد كبير من جنود الجيش البريطانية كانوا من الهنود الذين استعانت بهم لاحتلال العراق ، بالمقابل كانت قوات المقاومة العراقية لا تمتلك سوى عدد محدود من البنادق الخفيفة القديمة وبعض الأسلحة التي تركتها القوات

العثمانية المنسحبة ، مما زاد في عدد الخسائر في صفوف الثوار إضافة إلى حدوث نوع من الانقسام في المدن حول جدوى المقاومة او القتال إلى جانب الدولة العثمانية التي كانت تسيئ معاملة العراقيين بشكل واهل الجنوب بشكل خاص (٢١)بالرغم من كل التحديات التي واجهت المقاومة العراقية والخسائر في الممتلكات والارواح الا أن القوى الدينية المتمثلة بمراجع الدين في كربلاء والنجف لم يتخلوا عن دعم المقاومة وإصدار الفتوى من اجل الصمود امام تقدم القوات المحتلة حيث أصدر السيد محمد كاظم اليزدي وهو كان المرجع الديني الأعلى للشيعة في النجف فتوى تحرم التعاون مع البريطانيين ودعا إلى مقاومة المحتل، رغم حرصه الكبير على تقليل الخسائر بالأرواح (٢٢)تمكنت المقاومة العراقية وبعض والقوات المتبقية من الجيش العثماني المنسحب من عرقلة تقدم القوات البريطانية نحو بغداد الا انها لم تتمكن من منعها ، حيث استطاعت القوات البريطانية من التقدم شمالا متوجهة نحو العاصمة بغداد حيث وصلت إلى واسط (الكوت) ، وهناك كانت القوات العثمانية قد تجمعت هي وعدد كبير من المتطوعين من أبناء العشائر العراقية لمواجهة القوات البريطانية ، الا انهم لم يستطيعوا من صد الهجوم البريطانية وتراجعوا إلى منطقة المدائن وهناك تمكنت القوات العثمانية والمتطوعون من احراز النصر وترجع القوات البريطانية إلى الكوت وهناك تمت محاصرة القوات البريطانية لمدة خمس شهور ، لكن القوات العثمانية لم ستثمر هذا الانتصار وارسلت عدد من قواتها إلى ايران لمواجهة القوات الروسية هناك مما سهل مهمة القوات البريطانية التي استطاعت التقدم ودخول بغداد يوم ١١ اذار ١٩١٧ ، وبدخول القوات البريطانية إلى بغداد اصبح العراق تحت سيطرتها بشكل رسمي ، لذلك فقد انتقل رفض القوى الدينية للوجود البريطاني في العراق إلى مرحلة جديدة عن طريق الثورات الشعبية والتي كان من أهمها انتفاضة النجف (٢٣) وثورة العشرين ١٩٢٠ (٢٤)احكم الاحتلال البريطاني قبضته على إدارة العراق بشكل كامل ، وشهد العراق حالة من القهر الوطني والغليان الشعبي ، بعدما ايقن العرقيين أن الحكومة البريطانية غير جادة بمنح الاستقلال التام للبلاد واخذت تتنصل عن الوعود التي قطعتها بريطانيا ودول التحالف والتي تعهدت بمنح الاستقلال للشعوب التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية ومنحها حق تقرير المصير ، وامام هذا الواقع عمدت القوات البريطانية المسيطرة على العراق إلى تهميش دور العراقيين في إدارة البلاد واستعانت بالهنود والأتراك ووضعتهم في المناصب الهامة ، إضافة إلى فرض ضرائب باهضه على الفلاحين والملاك حيث لم تختلف هذه الضرائب كثير عن التي كانت تدفع للدولة العثمانية ، كما أن الاحتلال البريطاني وعند سيطرته الكاملة على العراق قام بحل الجيش العراقي والمؤسسات المدنية مما أدى إلى تسريح عدد كبير من الضباط والعساكر والمدنيين وهذا ما أدى إلى تفشي البطالة بشكل كبير (٢٥)امام هذه الأفعال التي قامت بها بريطانية كانت القوى الدينية بالعراق تراقب وبشكل دقيق الأوضاع العامة لاسيما رجال الدين في مدينتي النجف الاشرف وكربلاء المقدسة ، وعندما ايقن المرجع الأعلى للطائفة الشيعية الشيخ محمد تقي الشيرازي أن الإدارة البريطانية في العراق لم تفي بالعهود وان البلاد متجهة إلى أمور اسوء من ما هي عليه الان اصدر فتوى الجهاد في حزيران ١٩٢٠ ، وكانت هذه الفتوى هي الشرارة الرسمية لا اعلان الثورة ، حيث هاجم أبناء عشيرة جحيم القاعدة العسكرية البريطانية في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ بعد أن قام القوات البريطانية باعتقال احد شيوخ القبيلة وهو الشيخ شعلان أبو الجون وسرعان ما امتدت الثورة إلى باقي مناطق الفرات الأوسط مثل الحلة والديوانية ثم باقي المحافظات العراقية من الجنوب إلى الشمال (٢٦)كان لدور القوى الدينية العراقية في ثورة العشرين أهمية كبيرة في كل انحاء العراق خاصة المدن المقدسة كربلاء والنجف، حيث استطاعت القيادات الدينية منح الثورة الشرعية الدينية والوطنية ، إضافة إلى المدن المقدسة فقد لعب رجال الدين من الطائفة السنية دورا بارزا في اذكاء روح الثورة داخل المدن مثل بغداد والموصل وبث روح الثورة لدى جميع طبقات المجتمع العراقي ، حيث وصفت هذه القوى الاحتلال البريطاني بانه قوى كافرة وفق المنظور الديني (٢٧) .اتخذ رجال الدين من الخطب اليومية من على المنابر وخطب الجمعة وسيلة اعلام مهمة لا إيصال الفتاوى والتعليمات من المراجع إلى باقي الناس ، إضافة إلى أن هناك عدد كبير من وكلاء المراجع الذين يوصلون كل الرسائل إلى الشعب العراقي ، ومن الجدير بالذكر فان هناك تحالف قائم بين رجال الدين وشيوخ العشائر وتشكيل إدارة خاصة بالثورة تحت مسمى القيادة العامة للثورة وكانت تحت قيادة الشيخ الشيرازي ومساعديه أمثال الشيخ محمد الخالصي والسيد أبو الحسن الاصفهاني ، إضافة إلى تحالف رجال الدين وشيوخ العشائر فقد كان هناك تفاهم وتعاون بين بعض القادة العسكريين العراقيين الذين خدموا في الجيش العثماني وبعض المثقفين في الجمعيات العراقية التي تشكلت مثل جمعية (العراق الفتاة) ، وقد كانت هذه الجمعية تمثل نخبة من المثقفين تنشط في بغداد والأماكن الحضرية مما انتج طابع وطني شامل لكل أبناء العراق وليس طائفياً او مناطقياً (٢٨تسارعت احداث الثورة وانتشرت في مناطق الفرات الأوسط (السماوة ، الحلة ، كربلاء ، النجف) ، واستمرت بالانتشار إلى أن وصلت كافة انحاء العراق لتشمل كل أطياف ومكونات الشعب العراقي ، استطاع الثوار من محاصرة القوات البريطانية بأكثر من منطقة وساعد ذلك معرفتهم بالطبيعة الجغرافية لمناطقهم مما شكل نقطة قوى للثورة ، وحدثت العديد من المعارك المهمة والفاصلة كان من أهمها هي معركة الرارنجية في أواخر تموز ١٩٢٠ قرب مدينة الحلة ، حيث تعتبر هذه المعركة من اكبر المواجهات التي حدثت خلال الثورة العراقية الكبرى شاركت فيها عشائر (ال فتلة ، وال إبراهيم ، بني حسن ، بني جحيم ، وغيرها من العشائر) ، استطاع الثوار من قطع خطوط امداد القوات البريطانية عن

طريق مهاجمة القطارات التي تحمل الجنود والمؤن ، ونصب الثوار كمين محكم في منطقة الرارنجية تمكنوا من خلاله من الحاق خسائر كبيرة بالقوات البريطانية وتدمير قوافلهم العسكرية ، اثبت معركة الرارنجية أن الثوار العرقيين قادرين على المواجهة واحراز النصر بالرغم من أن القوات البريطانية مجهزة بأحدث الأسلحة ، لم تكن معركة الرارنجية المعركة الوحيدة التي خاضها الثوار العرقيين ضد القوات البريطـــانية فقد حدثت معـارك عديدة أهمها معركة الكوفـة ومعارك الرميثه والـديوانية والسماوة (٢٩)بالرغم من أن ثورة لعشرين في العراق لم تحقق النصر العسكري على القوات البريطانية المحتلة وذلك بسبب التفاوت الكبير فد العدة والعدد بين الثوار وقوات الاحتلال ، الا أن الثورة اسفرت عن نتائج عميقة وعلى كافة المستويات ، فقد افشلت المشروع البريطاني الخاص بتطبيق نظام الانتداب وإدارة العراق كولاية تابعة له ، واضطرت الإدارة البريطانية في العراق إلى البحث عن صيغة حكم تتناسب مع الوضع الجديد في العراق بعد ثورة ١٩١٩ ، إضافة إلى هذا فقد كانت ثورة ١٩٢٠ من اهم العوامل التي مهدت لتنصيب الملك فيصل ملكا على العراق (٣٠)وعلى الصعيد الاجتماعي فقد وحدث ثورة العشرين الشعب العراقي بكل أطيافه الدينية والقومية من سنة وشيعة وعرب واكراد فشكلت نموذجا فريدا في التضامن الوطني كما برز دور المرجعيات الدينية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة في قيادة الحركة الوطنية وتوجيه الجماهير (٣١)مهدت ثورة العشرين لقيام الدولة العراقية ، حيث اثبت الشعب العراقي انه قادر على اجبار المحتل البريطاني على القبول بمطالبه الحقة بالحرية والاستقلال وان السبيل إلى تحقيق ذلك هو وحدة الكلمة والتلاحم بين أبناء الشعب الواحد ، وامام هذا الموقف أجبرت القوات البريطانية إلى تغير اسلوبها في حكم العراق من حكم مباشر إلى حكم غير مباشر (٣٢)استمرت القوى الدينية في النجف وكربلاء بالمطالبة بالاستقلال ومنح الشعب العراقي حق تقرير مصيره دون تدخل من القوات البريطانية المحتلة، وقد اكتسبت القوى الدينية مكانة خاصة لدى العراقيين حيث قادت هذه القوى صفحة مهمه من النضال ضد المحتل من خلال اصدار الفتاوى والخطابات والمنابر الدينية وحتى من خلال مشاركة تلك القوى بشكل فعلي في الثورة ، بالمقابل ادركت القوات البريطانية الدور الكبير والخطر للقوى الدينية في إمكانية تعبئة الشارع العراقي ضد وجودهم فعملت على تضيق الخناق على تلك القوى من خلال مراقبة كل النشاطات الدينية في جميع المدن العراقي لاسيما مدينة الكاظمية وكربلاء والنجف ، كما منعت القوات البريطانية الخطب السياسية في المساجد والحسينيات والتضيق على بعض العلماء المشاركين في ثورة العشرين مثل أبو الحسن الاصفهاني وغيره (٣٣)أعلنت القوات البريطانية في العراق عن نيتها تعين الأمير فيصل ابن علي ملكا على العراق ، وانقسمت القوى الدينية بين مؤيد ومتحفظ على هذا الامر ، حيث ايد البعض منهم هذه الخطوة بسبب أن الأمير فيصل شخصية عربية مسلمة يمكن أن تحقق توازناً وطنياً يمنح العراق الاستقلال التام ، اما المعارضين لتولي الأمير فيصل كانوا متحفظين على الطريقة التي تم تعينيه بها واشراف البريطانيين ، كما عارضت القوى الدينية في العراق معاهدة ١٩٢٢ معتبره إياها استمرار للسيطرة البريطانية على العراق بوجه جديد ، وقد اصدر علماء الدين فتوى تحرم المشاركة بالانتخابات او التعاون مع السلطات الخاضعة للانتداب (٣٤)بعد ازدياد أهمية العراق بالنسبة لبريطانية لاسيما بعد اكتشاف النفط عام ١٩٢٧ ، حاولت بريطانيا وضع معاهدة جديدة تنظم العلاقات بين العراق والحكومة البريطانية ، فقامت بوضع مايعرف بـ (المعاهدة الانجلو – عراقية) في ٣٠ يونيو ١٩٣٠ ، وقد بنيت هذه المعاهدة على مقررات المعاهدة السابقة لسنة ١٩٢٠ إضافة إلى بعض الفقرات المجحفة التي اضافتها بريطانية والتي تمنحها السيطرة الكاملة على العراق ، مما ولد حالة من الرفض لدى كل أطياف الشعب العراقي حيث شهدت المدن العراقية العديد من المظاهرات والاضرابات التي قامت بها الحركات الطلابية ، اما موقف القوى الوطنية من هذه المعاهدة فقد كان الرفض بشكل قاطع وعدت هذه المعاهدة بمثابة استمرار للانتداب البريطانية لكن بصيغة جديدة ، وكان من ابرز الرافضين لهذه المعاهدة المرجع الديني الكبير السيد الحسن الاصفهاني والشيخ حسين كاشف الغطاء ، واعتبروا أن استقلال العراق الحقيقي لا يتحقق الا بخروج القوات البريطانية بشكل كامل . (٣٥)

الخاتمة

في ختام هذا البحث تبين أن القوى الدينية في العراق كانت فاعلا سياسيا واجتماعيا مؤثرا في تلك الفترة التاريخية المهمة من تاريخ العراق الحديث ، حيث التفت حولها الجماهير لمواجهة الهيمنة الأجنبية على البلاد ، لاسيما خلال ثورة العشرين حيث مثلت الثورة ذروة التفاعل بين الدين والسياسية والمجتمع ، كما برز دور المرجعيات الدينية بشكل واضح وكان دورا محوريا في توجيه الرأي العام عن مخاطر سيطرة الاحتلال البريطاني على مقدرات الشعب ، ولم يقتصر دور القوى الوطنية بالعراق على قيادة وتحشيد للثورة ضد المحتل بل كانت تساهم في بلورت الرأي العام المطالب بمنح العراق الاستقلال ، مما اكسب القوى الدينية مكانة خاصة في الذاكرة الوطنية العراقية كما تبين خلال هذا البحث أن علاقة القوى الدينية والدولة العراقية لم تكن ثابتة بل تذبذبت بين التقارب والتوتر ،وبالرغم من كل التحديات التي واجهت القوى الدينية في تلك الفترة الا انها استطاعت المحافظة على دورها التوجيهي في المجتمع واستمرار دعمها لكل القضايا الوطنية .من خلال هذا البحث تبين أنه لا يمكن فهم تاريخ العراق الحديث دون دراسة دور القوى الدينية باعتبارها الركيزة الأساسية في تشكيل الوعي الوطني لدى الجماهير وصياغة الاحداث السياسية ، حيث

كانت تلك القوى حاضرة عند كل منعطف تاريخي مهم بدأ من ١٩٠٨ والموقف من الدستور العثماني ، مرورا بثورة ١٩٢٠ والتي شكلت نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ العراق السياسي ، وانتهاء بالموقف من قيام الحكومة الوطنية ومعاهدة ١٩٣٠ ، حيث استطاعت القوى الدينية في العراق من خلق حالة من التوازن بين مقاومة النفوذ الأجنبي والمساهمة في بناء دولة حديثة تتوافق مع طموحات الشعب العراق وتطلعاته

قائمة المصادر

١. إبراهيم خليل وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل ،١٩٨٩.

٢. احمد امين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر والعراق وإيران، بيروت، ١٩٨٩

٣. جعفر الدجيلي وعبد الله الخاقاني، موسوعة شعراء النجف الاشرف في القرن الرابع عشر، ج١٧، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٠.

٤. جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الاليخانيين، ط١، مطبعة العاني، ١٩٦٨، بغداد.

٥. حامد احمد الورد، مذكرات الفريق طونزند، ط١، الداري العربية، ١٩٨٦.

٦. حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة عبد العزيز الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٠.

٧. خالد خليل حمودي الاعظمي، المدرسة المستنصرية في بغداد، مطابع وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، د. ت.

٨. رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٤ .

٩. روبرت مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج٢ ، ترجمة بشير السباعي ، مطابع الفكر ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١٠. زياد تركي الخوالدة ، الحجاز تحت حكم الشريف حسين ، ١٩١٨ – ١٩٢٤ ، مطبعة السفير ، عمان – الأردن ، ٢٠١٧ .

١١. زين الدين وحيد محفوظ، الإدارة العثمانية في مرحلة التنظيمات ١٨٣٩ – ١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٦.

١٢. سعود بن ناصر بن خليفة المنذري ، الدعوة الإباضية في البصرة ونشأتها وتطورها ودور حملة العلم في انتشارها ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السلطان قابوس ، كلية الاداب والعلوم الاجتماعية ، عمان ، ٢٠١٠ .

١٣. عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج١، ط٧، دار الرافدين، بيروت، ٢٠٠٨ .

١٤. عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، العرفان للطباعة، بيروت، ١٩٨٢.

١٥. عبد العزيز الدوري، التاريخ العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦

١٦. عبد القادر باشا اعيان العباسي، البصرة في ادوراها التاريخية، دار البصري للطباعة، بغداد، ١٩٦١.

١٧. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٣.

١٨. عدنان زيان فرحان، السياسة البريطانية تجاه الأقليات الدينية في العراق ١٩١٤ – ١٩٤١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دهوك، كلية الاداب، قسم التاريخ ،٢٠٠٩.

١٩. عزيز سباهي، أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، ط١، دار المدى، ١٩٩٦.

٢٠. على الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٦، بغداد، د. ت.

٢١. كمال ديب، موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الامريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية، دار الفارابي، بيروت، د. ت.

٢٢. محسن جبار العارضي، ٩٠ عاما على ثورة العراق التحررية الوطنية، مكتب المصادر، بغداد، ٢٠١٠.

٢٣. محمد سعيد الطريحي، المسجد التاريخي في الكوفة، ط١، امانة مجلس الكوفة ،٢٠١٢.

٢٤. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١.

هوامش البحث

---

(١) احمد امين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر والعراق وإيران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٧١.

(٢) للمزيد عن مذهب الاباضية انظر : سعود بن ناصر بن خليفة المنذري ، الدعوة الاباضية في البصرة نشأتها وتطورها ودور حملة العلم في انتشارها من ١٦٠هـ \ ٧٧٦ م دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السلطان قابوس ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، عمان ، ٢٠١٠ .

[٣] عبد القادر باش اعيان العباسي ، البصرة في ادوارها التاريخية ، دار البصري للطباعة ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص٤٨ .

[٤] خالد خليل حمودي الاعظمي ، المدرسة المستنصرية في بغداد ، مطابع وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، د.ت ،ص١٢

(١) محمد سعيد الطريحي، المسجد التاريخي في الكوفة، ط١، امانة مسجد الكوفة، ٢٠١٢، ص٦١

[٦] جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ، مطبعة العاني ، ط١ ، ١٩٦٨ ، بغداد ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

[٧] محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط١ ، دار النفائس ، ١٩٨١ ، بيروت ، ص٢٢٢ .

[٨] هدنة مودروس ١٩١٨ : هدنة وقعت لوقف اطلاق النار بين الدولة العثمانية وقوات الحلفاء ، مثلت هذه الهدنة نهاية فعلية لمشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، ومهدت لقوات الحلفاء السيطرة على الولايات العربية التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية ، إضافة إلى العديد من البنود القاسية التي فرضت على الدولة العثمانية ؛ روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ،ج٢ ، ترجمة بشير السباعي ، مطابع الفكر ، القاهرة ،١٩٩٣ ، ص٣١٣ – ٣٣٢ .

[٩] روبير مانتران ، المصدر نفسة ص٢٣٢ .

[١٠] زين الدين وحيد محفوظ ، الادارة العثمانية في مرحلة التنظيمات ١٨٣٩ – ١٩٠٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تشرين ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، قسم التاريخ ، ٢٠١٦ .

[١١] **سياسة التتريك** : نهج اتبعته حكومة جمعة الاتحاد والترقي منذ عام ١٩٠٨ ، ويشمل على فرض اللغة والعادات والثقافة التركية على شعوب الدولة العثمانية الغير تركية ، خاصة العرب كان الغرض من اتباع مثل هكذا سياسة هو اذابة الهوية القومية والدينية لهذه الشعوب ؛ عبد العزيز الدوري ، التاريخ العربي الحديث ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١١٢ .

[١٢] علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، ج٤ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص٨٢ .

[١٣] علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

[١٤] حنا بطاطو ، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ، ترجمة عزيز الرزاز ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

[١٥] . عدنان زيان فرحان، السياسة البريطانية تجاه الأقليات الدينية في العراق ١٩١٤ – ١٩٤١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دهوك، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٩، ص٢١ – ٤٥.

[١٦] عزيز سباهي ، اصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية ، ط١ ، دار المدى ، ١٩٩٦ ، ص٧ .

[١٧] ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي ، تاريخ العراق المعاصر ، الموصل ، ١٩٨٩ ، ص٩ .

[١٨] (الشريف حسين ١٨٥٣ – ١٩٣١): هو الحسين ابن علي شريف مكة ، ولد في الاستانه واكمل دراسته هناك ثم عاد الى الحجاز ، رفض دخول الدولة العثمانية للحرب العالمية الاولى كما رفض فتوى الجهاد التي اصدرتها الدولة العثمانية ، تم عزله من قبل حكومة الاتحاد والترقي العثمانية بسبب موقفه هذا ، قاد الثورة العربية الكبرى لتحرير الاراضي العربية من الوجود العثماني ، تم نفيه الى قبرص عام ١٩٢٦ من قبل قوات التحالف ، ثم عاد الى الاردن وقضى اخر ايامه في قصر رغدان الى ان توفى للمزيد انظر : زياد تركي الخوالدة ، الحجاز تحت حكم الشريف حسين ١٩٠٨ – ١٩٢٤ ، مطبعة السفير ، عمان – الأردن ، ٢٠١٧ .

[١٩] ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

[٢٠] (محمد سعيد الحبوبي ١٨٥٠ – ١٩١٥) : فقيه جعفري ولد في النجف ، شاعر عربي عراقي اديب بارز ، توقف عن نظم الشعر عن بلوغه الاربعين وكرس حياته لتدريس الفقه ، برز دوره الوطني خلال الحرب العالمية الاولى حين دعا للجهاد ضد القوات البريطانية قاتل في معركة الشعيبة ، وتوفي متأثرا بجراحه التي اصابته اثناء المعركة ، تم دفنه في العتبة العلوية بالنجف ، جعفر الدجيلي وعبد الله الخاقاني ، موسوعة شعراء النجف الاشرف في القرن الرابع عشر ،ج١٧ ، ق١ ، دار الاضواء ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٣٩٠ .

[٢١] حامد احمد الورد ، مذكرات الفريق طونزند ، ط٢ ، الدار العربية ، ١٩٨٦ ، ص١٠٧ .

[٢٢] علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .

[٢٣] **(انتفاضة النجف)** أول انتفاضة شعبية ضد الاحتلال البريطاني أواخر عام ١٩١٧ وبداية عام ١٩١٨ ، اذ قامت مجموعة من الثوار من أهالي النجف بمهاجمة دار الحكومة في النجف وقتلت الحاكم البريطاني الكابتن مارشال ، ولكن البريطانيين تمكنوا وبعد حصار النجف الذي

استمر دام أربعين يوماً من القبض على معظم من شاركوا في الثورة ، فاعدموا احد عشر رجلاً وابعد الآخرون إلى الهند . لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، العرفان للطباعة، بيروت، ١٩٨٢.

(٢٤) ابراهيم خليل احمد ، جعفر عباس حميدي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

(٢٥) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١، ط٧، دار الرافدين ، بيروت ،٢٠٠٨،ص ١٤١ – ١٤٣ .

(٢٦) عبد الرزاق الحسني ، نفس المصدر ص١٤٤ .

(٢٧) عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص٢٣٨ .

(٢٨) عبد الله الفياض ، نفس المصدر ، ص ٢٩٣ .

(٢٩) محسن جبار العارضي ، ٩٠ عاما على ثورة العراق التحررية الوطنية ، مكتب المصادر ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ١٨٩ – ١٩٠

(٣٠) علي الورد ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ ، بغداد ، ص ٤٧ .

(٣١) محسن جبار العارضي ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٣٢) كمال ديب ، موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين الى الحروب الامريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص٤٢ .

(٣٣) عبد الله الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .

(٣٤) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ ، بغداد ،ص٤٩ .

(٣٥) . رعد ناجي الجدة، التطورات الدستورية في العراق، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٨.